الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي

Surprising and its goals according to Hassan Hanafi

جمعة صباح[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
sabdjemaa@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/12/15 القبول 2021/12/30 النشر على الخط 2022/05/10
Received 15/12/2021 Accepted 30/12/2021 Published online 10/05/2022

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "الاستغراب وأهدافه عند "حسن حنفي"، وللموضوع أهمية نظرية؛ حيث يبحث في ماهية الاستغراب وأهمية تطبيق أهدافه على أرض الواقع خاصة وأنّ الأمة العربية والإسلامية بحاجة لدراسة الغرب برؤية ذاتية معتزة بنفسها قد تساعدها في التخلص من عقدة النقص التي تكونت سنوات الاستعمار الأوروبي وبفعل الاستشراق، وبالتالي تحرر الأنا ثقافيا وحضاريا وعلميا من هيمنة الآخر، ويعتبر حسن حنفي من أهم المفكرين الذين خاضوا في موضوع الاستغراب حيث أعطى له مفهوما محددا وواضحا، ورسم له أبعادا ومضامين وأهداف، هذه الأخيرة التي حاولت استعراضها وتبيان مختلف الانتقادات التي أثيرت حولها ومناقشتها ، وكذا تبيان ردود حسن حنفي عليها وذلك حتى يتسنى لنا الإجابة على إشكالية: ما مدى إمكانية ترسيخ قواعد الاستغراب وتطبيقها في الواقع الحالي؟

وقد تبيّن لنا أن أهداف الاستغراب عند حنفي تعبّر عن اعتزاز وطموح كبير، سعى من خلاله إلى تغيير شكل العلاقة بين الغرب والشرق، وتحويل الغرب من ذات دارس إلى موضوع مدروس للشرق، وهي العلاقة التي يبدو أن دونها الكثير من الصعوبات والمعوقات التي تحول دون إمكانية تطبيقها.

الكلمات المفتاحية: الاستغراب؛ الوعي الأوروبي؛ التراث الغربي؛ الأنا؛ الآخر.

Abstract:

The topic of « the weirdness » with which this research deals regarding its origins and its linguistic and terminological sense; according in particular to the thinker Hassan Hannafi, who has given this term a specific and a clear concept and has drawn its perspectives, its themes and its goals, these latter which I tried to display and explain the different criticisms that were stimulated it and discussed, also clarifying Hassan Hannafi reactions about them to arrive to what extent of its importance and ability to be applied in the recent fact.

It has been shown to us that the goals of weirdness for Hannafi expressed through a pride and big ambition of him to change the relation's shape between the West and the East; without many difficulties and obstacles that prevent its application ability.

Keywords: Surprised, European consciousness, Western Heritage,Ego,The other.

[1] المؤلّف المراسل: صباح جمعة البريد الإلكتروني:sabdjemaa@gmail.com

مقدمة

إن الواقع العربي الذي تعيشه الأمة العربية اليوم؛ واقع ليس في مستوى تطلعاتها وآمال أبنائها بسبب الانحطاط الفكري والتخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، والتبعية والاغتراب تحت ظلال الفكر الغربي، وعدم الوعي بحركة التاريخ والركب الحضاري للأمم التي تقود العالم اليوم، كل هذا دفع المفكر حسن حنفي إلى استشعار الحاجة إلى تأسيس علم الاستغراب، الذي يسعى من خلاله إلى معرفة الغرب (أسسه ومكوناته وتطوره التاريخي ونقده) وبالتالي التحرر منه ورده إلى وضعه الأصلي والطبيعي في محاولة منه لإحداث نهضة ثورية.

يعد حسن حنفي من الشخصيات الفكرية الجدلية في العالم العربي والإسلامي، ومن ناحية أخرى يعد من أفضل الدارسين للفلسفة الأوروبية الحديثة، بالإضافة إلى اضطلاعه الواسع على صيرورة الفلسفة العربية الإسلامية وأدواتها ومفاهيمها ومذاهبها المختلفة، مما جعله يحسن توظيف أدوات الفكر العربي في دراسة الآخر من منظور عربي إسلامي، فامتلاكه للثقافتين شكل لديه حافزا لكي يقيم مشروعه الخاص بعلم الاستغراب بغرض احتواء الفكر الغربي وإخضاعه للدراسة وتحويله إلى مدروس بعد أن ظل أكثر من قرن يتخذ موضع الدراس.

وهذا ما يضعنا أمام إشكالية محورية وسؤال جوهري يتمثل فيما يلي: إلى أي مدى يمكن ترسيخ قواعد الاستغراب وتطبيقها في الواقع الحالي؟ وهذا وفق التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الاستغراب؟
- ماهي أهدافه؟
- لماذا انتقدت؟
- وكيف واجه حنفي هذه الانتقادات؟
- وإلى أي مدى يمكن تطبيقها؟

ويهدف البحث أساسا إلى:

- التعرف على الاستغراب الذي يدعو إليه حسن حنفي، وتسليط الضوء على بعض أعماله التي تعتبر من وجهة نظر معرفية محاولات جديرة بالدراسة والمناقشة.
- الوقوف أمام إسهام مفكر عربي معاصر من أصحاب المشاريع الفكرية الضخمة من خلال تناول جهوده في موضوع الاستغراب ومعرفة الأهداف التي يسعى إليها، والانتقادات التي تعرض لها.
- الوقوف على مدى نجاعة أهداف الاستغراب عند حسن حنفي ومدى إمكانية تطبيقها في الواقع الحالي.

ونظرا لما تقتضيه الدراسة فقد اعتمدت:

المنهج التاريخي: بغية وضع الأفكار والمفاهيم في إطارها التاريخي، خاصة والحديث يدور حول جملة من المفاهيم نشأت وتطورت بسبب أحداث وظروف تاريخية كانت لها الأثر الواضح في تغيير المفاهيم.

المنهج التحليلي النقدي: في تحليل ونقد أهداف الاستغراب والانتقادات المثارة حولها. وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة على النحو التالي: مقدمة، المبحث الأول: مفهوم الاستغراب، المبحث الثاني: أهدافه، المبحث الثالث: انتقادات وردود، خاتمة.

1. المبحث الأول: مفهوم الاستغراب:

ينتمي مصطلح الاستغراب إلى فئة الكلمات التي تستعمل في العلوم الإنسانية، ولا تعني بالضبط معناها اللغوي، وإنما هو مصطلح متولد من تفاعل وتطور تاريخي ثقافي وحضاري، ولهذا يتوجّب علينا أن نلقي الضوء حول ما تعنيه كلمة الاستغراب لغة واصطلاحا:

لغة: فالمعنى اللغوي المباشر للاستغراب يدور حول الدهشة والحيرة من غرابة شيء ما، وأصل الغرب في اللغة البعد، ومنه جاء معنى المبالغة حين يقال أغرب في الضحك أو استغرب ضاحكا أي بالغ فيه. وكلمة الاستغراب مأخوذة من كلمة "غرب" والتي تعني أصلا غروب الشمس [1].

اصطلاحا: الاستغراب هو علم الغرب، ومن هنا يمكن تحديد كلمة "المستغرب" وهو الذي تبحّر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها.

ويعد الاستغراب من المصطلحات التي تداولها العديد من الكتاب والأدباء والمصلحين[وإن كان ليس باللفظة ذاتها] نذكر منهم محمد قطب في كتابه "مذاهب فكرية معاصرة" ومحمد الغزالي في "ظلام من الغرب" وعبد الله الشارف في كتابه "أثر الاستغراب في التربية والتعليم بالمغرب " للدلالة والتعبير عن الافتتان بالغرب وحضارته ومتابعة الغربيين في أنماط النظر والفكر والتصورات والانبهار الذي يفقد الأنا بالذوبان في ثقافة الآخر، وفي ذلك يقول أحمد عمر الوهاب: «فعندما تثير صدمة المواجهة مع الحضارة الغربية ردود أفعال مختلفة عن الغرباء عنها، منهم من يصاب بحالة من الانبهار تفقده نفسه حتى إذا بدأ البحث عنها لم يجدها إلاّ في الذوبان الكامل في تلك الحضارة وهؤلاء هم دعاة التغريب»[2] .

ثم أضيف لكلمة الاستغراب معنى آخر بكتابات حسن حنفي[3] في الثمانينات وهي الكتابات التي توجت بمؤلفه "مقدمة في علم الاستغراب" والصادر عام 1991 والذي شكل أول مشروع فكري عربي متكامل عن الاستغراب في تاريخ الثقافة العربية، ولهذا اقترن مفهوم الاستغراب بالمفكر حسن حنفي على الرغم من وجود إرهاصات قبله دعت إلى هذا العلم، إلاّ أنه هو الذي أعطى لهذا المصطلح أو هذا العلم مفهوما محددا وواضحا ورسم له أبعاده ومضامينه ومراميه ومرجعياته الفلسفية. فمفهوم الاستغراب الذي يقصده حسن حنفي يختلف عن المعنى اللغوي وعن المعنى أو المفهوم الذي استخدمه بعض الكتاب كما ذكرنا من قبل.

وقد اعترف حنفي بأنه لم يكن السّباق بالدعوة لقيام علم الاستغراب لأن رفاعة الطهطاوي قد فتح بابه من خلال كتاب "تخليص

---

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، ج10، ص 641.

[2] _ أحمد عمر الوهاب، التغريب طوفان من الغرب، مكتبة التراث الإسلامي، ص 15.

[3] _ حسن حنفي، ولد سنة 1935 بمصر، وهو مفكر مصري وأستاذ جامعي واحد من منظري اليسار الإسلامي وتيار علم الاستغراب وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشاريع الفكرية العربية من أهم أعماله "التراث والتجديد" "مقدمة في علم الاستغراب" توفي يوم 21 أكتوبر 2021 (ويكيبيديا الموسوعة الحرة:. (07/09/2020) Wikipedia.org)

الإبريز" وكذلك خير الدين التونسي في كتابه «أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك» وفي هذا الصدد يقول حنفي: «ارهاصات علم الاستغراب في جيلنا وتحدث الكثير منا عن إمكانية إنشاء هذا العلم، بل ضرورة ذلك حتى يساعدنا على الخروج من نطاق التبعية الثقافية للغرب، ولكن الغالب على هذه الإرهاصات أنها تعبير عن نوايا نعلنها جميعا دون أن تتحول هذه النوايا إلى علم دقيق...ولكن خروج هذه المقدمة في (علم الاستغراب) في هذه اللحظة يدل على أن لحظة الإعلان عن النوايا قد تم تجاوزها وأن الإرهاصات الأولى قد تم تحويلها إلى علم دقيق...والمحاولة الأولى في هذه المقدمة في علم الاستغراب» [1].

ومعنى ذلك أن الاستغراب اتخذ أشكالا كثيرة منذ لحظة الصدمة التي تعرف فيها المسلمون على الغرب، فقد اتخذ شكل الانبهار مع رفاعة رافع الطهطاوي ومحاولة التقويم التي تخلو من الانبهار مع خير الدين التونسي، واتخذ شكل النقد مع محمد قطب، غير أن مرحلة النضج بدأت مع حسن حنفي الذي حاول أن يصوغ العلاقة مع الغرب والمعرفة الغربية ومجمل الحضارة الغربية من منطلق الدارس المنظر، وهو ما مكننا من العثور على المعنى الاصطلاحي للفظة الاستغراب عنده، حيث يعرفه بالقول أنه العلم الذي «يقوم بنقد وتحليل الوعي الأوروبي في مصادره وبدايته ونهايته باستخدام المناهج الواردة في التراث القديم وفي التراث الغربي الحديث والمعاصر التي تضع الغرب في مكانه الطبيعي وتمكن الشعوب المقهورة من الانطلاق نحو الحضارة وبناء التاريخ» [2].

وقد اهتم حسن حنفي بهذا العلم الجديد لمقاومة طغيان الاستشراق واستبداده فحقيقة الاستغراب بنظر حسن حنفي تكمن في كونه «الوجه الآخر والمقابل والنقيض من الاستشراق فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال (الغرب) وإذا كان الاستشراق هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى ولهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها، فإن الاستغراب هو العلم المضاد له... في الاستغراب انقلبت الموازين وتبدلت الأدوار، فأصبح الأنا الأوروبي الدارس بالأمس هو الموضوع المدروس اليوم، كما أصبح الآخر اللاأوروبي المدروس بالأمس هو الذات الدارس اليوم» [3].

ومن هنا حاول حسن حنفي أن يؤسس لفكر جديد وعقلانية مقابلة تقلب الموازين فتخضع الآخر الذي كان الدارس لموضوع دراسته، ونحو الذات التي كانت موضوع إلى ناقد، وهذا من غير انفعال ولا انتقاص ولا تشويه كما حدث في الاستشراق والمستشرقين الذين اهتموا بدراسة علوم الشرق محاولين زرع بدور الشك في الدين الإسلامي وتشويهه.

وعلى خلاف الاستشراق الذي وقع فيه التحيّز والتشويه لثقافات مختلفة بأهداف غير معلنة يجعل حسن حنفي من علم الاستغراب علم موضوعي «يسعى إلى معرفة الآخر من خلال الأنا الأكثر نزاهة وحيادا وموضوعية على خلاف الآخر المشبّع بتراثه، وعليه فالأفيد للتراث الغربي نفسه وللعلم دراسته من باحثين غير منتمين له، لهم بناء شعوري مخالف للموضوع المدروس تمكنهم من الرؤية العلمية الصحيحة والصادقة خاصة وأنّ وعي الباحث وأصالته يحفظانه من الوقوع في أخطار الذاتية والانتقام، ويجعلونه قادرا على

---

[1] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 62.

[2] _ جيلالي بوبكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011 ، ص 180.

[3] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 29.

إعطاء النظرة العلمية المؤسسة على التحليل المباشر للواقع» [1].

فالاستغراب عند حنفي وُضع لأغراض نبيلة تهدف إلى إثبات الوجود الذاتي في مقابل وجود الآخر مع الفهم الدقيق للواقع والتطلع لمستقبل أفضل «فإذا كان الغرب قد استطاع وضع الاستشراف فلماذا لا يستطيع الشرق وضع الاستغراب»؟[2] يتساءل حنفي.

وقد جاءت مقدمته في علم الاستغراب تعبيرا عن هذا الهم الذي يعترف بأنه: «مهمة مجموعة من المثقفين، ومهمة عدة أجيال برؤى مختلفة، ولكن يظل التأسيس الأول لهذا الجيل في هذه المقدمة»،[3] على أن يكون تفصيل هذه المقدمة وإثرائها متروك للأجيال القادمة، وهو ما دفعه إلى القول: «بأن قصر العمر هو الذي دفعني إلى الاكتفاء بالكليات تاركا الجزئيات لأجيال أخرى» [4].

فحسن حنفي يهدف لتأسيس "علم الاستغراب"، تماما كما هدفت أعمال سابقة إلى تأسيس علوم كثيرة منها "مقدمة ابن خلدون" لتأسيس "علم العمران"، وكذا سيبويه لتأسيس "علم النحو"، وألفية ابن مالك الخليل بن أحمد لتأسيس "علم العروض"، رغبة منه في تحديد الأصول والكليات في الفكر الغربي دون الاهتمام بالجزئيات.

يقوم "علم الاستغراب" على ثلاثية أسماها "ثلاثية الوعي الأوروبي" وهي مصادر الوعي الأوروبي وبدايته ونهايته. فأما مصادر الوعي الأوروبي؛ فهي أربعة: اثنان معلنة، واثنان غير معلنة، فالمصدران المعلنان: هما المصدر اليوناني والمصدر اليهودي المسيحي، أما المصدران غير المعلنين؛ فهما المصدر الشرقي القديم والبيئة الأوروبية نفسها، وغالبا ما يذكر المصدران الأولان ولا يذكر المصدران الآخران للدلالة على أن الحضارة الأوروبية خلق عبقري أصيل على غير منوال، غير معتمد على حضارات سابقة عليه، وغير مرتبط بالزمان والمكان[5].

ويضرب لنا حنفي بعض الأمثلة يبيّن من خلالها عدم أصالة العلم الأوروبي، وأنه مستوحى من علوم أخرى فيقول: «ذلك لأن الغرب قد اعتبر اليونان أصلا عنصريا على غير مثال إذ لم يسبقه أحد، وكأن الهند لم تؤسس المنطق الصوري في البوذية ولم تسهم في نشأة علم الحساب وكأن فيتاغورس وطاليس لم يكونا على اتصال بالحضارات الشرقية وكأن أفلاطون لم يدرس الرياضيات في مصر، ولما كان الغرب وريث اليونان فقد ظل نسيجا عبقريا مثله على غير منوال[6]. هذه هي المصادر التي ضربت حولها مؤامرة الصمت سواء عند الفلاسفة أو عند مؤرخي الفلسفة، ولا تكاد تذكر إلا لدى الباحثين المتخصصين في البحث عن الدقيقات.

وأما بداية ونهاية الوعي الأوروبي فيقسمها حنفي إلى ثلاث مراحل وهي:

---

[1] _ حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 9.

[2] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص63.

[3] _ المصدر نفسه، ص 63.

[4] _ المصدر نفسه، ص 235.

[5] _ حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، ص 116.

[6] _ حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 198، ص 32.

1 – مرحلة تكوين الوعي الأوروبي أو(البدايات):

يبدأ التكوين الجديد للوعي الأوروبي في العصور الحديثة على مدى أربعمائة عام من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين بعدة اتجاهات أولها العقلانية (ق17)؛ وثانيا التجريبية (ق17)؛ لتأتي فلسفة التنوير في ق(18) وهي اجتماع العقلانية والتجريبية في فلسفة واحدة تم توجيهها نحو النقد الاجتماعي من أجل تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فهي التي ورثت عقلانية وتجريبية القرن (17) فحدث من هذا التراكم التاريخي تغير كيفي وهو اندلا ع الثورة الفرنسية [1].

2-مرحلة الذروة:

يبلغ الوعي الأوروبي الذروة في ق(19)، وتكوين الوعي الأوروبي في الذروة اسم عام يشمل عديدا من التيارات المادية والتطورية والحسية والتجريبية والنفعية والوضعية وآخر تيار ظهر في القرن 19 هو الفكر السياسي بروافده العديدة الليبرالية وتفريعاتها مثل الفوضوية والبرجوازية الوطنية والاشتراكية. [2]

3-مرحلة النهايات:

الظاهريات عند هوسرل هي تقريبا خاتمة المطاف في تكوين الوعي الأوروبي الذي بدأ في القرنين 17و18 ليبلغ الذروة في القرن 19 ثم يصل إلى نهايته في القرن 20 ، وتحدث حنفي عن نهاية البداية وبداية النهاية واعتبر أن نهاية البداية تتمثل في نقد العقلانية والتجريبية والجمع بينهما ثم أخيرا في الظاهريات ، أما بداية النهاية فتبدو في الفلسفة الوجودية والشخصانية والتوماوية الجديدة ومدرسة فرنكفورت والفكر الاجتماعي ثم في فلسفة العلوم والفلسفة التحليلية بوجه عام، وقد تكون الحرب الأوروبية الثانية ونهايتها في أواسط الأربعينيات هي الحد بين نهاية البداية (إكمال ديكارت بهوسرل) وبداية النهاية في العودة إلى الإنسان (الشخصانية) أو الإيمان (التوماوية الجديدة) أو في ماركسية القرن 20 (مدرسة فرنكفورت) أو في فلسفات العدم والتفكيك. كانت الظاهريات هي إعلان الوعي الأوروبي عن نهايته، حيث أصبحت كل الفلسفات التالية لها مجرد تطبيقات لها أو شروح عليها أو موازية لتحليلاتها [3].

وأما من حيث التطور فإن حنفي يرى أنّ الوعي الأوروبي مر بخمس مراحل: عصر آباء الكنيسة، الفلسفة المدرسية، عصر الأحياء والنهضة، عصر العقلانية والتنوير ثم عصر العلم والتقنية [4]. ففي مرحلة آباء الكنيسة تشكل الوعي الأوروبي باعتباره وعيا دينيا أفلاطونيا إشراقيا، وقد استغرق ذلك القرون السبعة الأولى التي تشكلت فيها العقائد المسيحية. وفي الفلسفة المدرسية تحولت التعاليم الدينية من الكنائس إلى المدارس ومن المعابد إلى الجامعات، كما تحول فيه الوعي الديني الأوروبي من الأفلاطونية الإشراقية إلى الأرسطية الطبيعية. وفي عصر الإحياء في القرن الرابع عشر بدأت العودة إلى الأصول بالبحث عن النصوص والتعامل معها مباشرة دون وساطة أحد.

---

[1] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 249.

[2] _ المصدر نفسه، ص1 33.

[3] _ المصدر نفسه، ص 751.

[4] – حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، ص 33.

وفي عصر الإصلاح الديني في القرن الخامس عشر قامت الحركة نفسها أي العودة إلى الأصول ولكن في الدين من أجل الإصلاح والقضاء على سلطة الكنيسة واحتكارها للتفسير والعلم وتأكيد حرية الإنسان في الفهم. والتفسير ورفض الوساطة بين الإنسان والله وإعطاء الأولوية للداخل على الخارج وللأخلاق على العقائد. [1] وفي عصر النهضة حدث نفس الشيء، لكن فلسفة عصر النهضة كانت تدور حول الإنسان وكرامته وحريته واستقلاله.

وهكذا أتت العقلانية في القرن السابع عشر تتويجا للعقل الذي أصبح له سلطان على كل شيء، الدين والفلسفة والعلم والسياسة والاجتماع والأخلاق والقانون، وبلغ الوعي الأوروبي أعلى درجة من الشمول والاتساع، ثم أتى عصر التنوير في القرن الثامن عشر بعد تفجير العقل في المجتمع، فاندلعت الثورات واهتزت الأنظمة وسقطت العروش والتيجان وتأسس كل شيء في العقل والطبيعة وخرجت أفكار الحرية والعدالة والمساواة وتحولت الفلسفة إلى ثورة والفيلسوف كاتب للجماهير وقائد لهم. ثم أتى عصر الثورة الصناعية عندما تراكم العلم وظهرت الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة وحلت محل الإنسان في الإنتاج وظهرت الطبقة العمالية وقامت الثورات الاشتراكية، ثم أتى القرن العشرون لإحداث الثورة الصناعية الثانية وهي عصر التقنية. [2]

ومن خلال مشروع الاستغراب قدم حنفي محتوى معرفي عن الغرب ومختلف العصور التي مر بها وعن فلسلفاته ونشأتها وتطورها ونقدها وذلك تمهيدا للحديث عن مهمات وأهداف الاستغراب والتي حصرها في جملة قضايا أو اتجاهات عامة وهي:

2. المبحث الثاني: أهداف الاستغراب عند حسن حنفي:

لقد سعى حنفي إلى تقديم محتوى معرفي من خلال مشروعه علم الاستغراب يهدف أساسا إلى دراسة الغرب من جميع النواحي، يبتغي من ورائه تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

– مواجهة التغريب: فما يقلق حنفي هو انتشار ظاهرة التغريب، والتي يمتد أثرها ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم، والتي من شأنها أن تهدد استقلالنا الحضاري بل امتدادها إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة وفن العمارة...الخ "فكل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها بإلحاقها بكلمة غربية...وتحولت مدننا إلى خليط من أساليب العمارة لا هوية لها...كما غاب الزيّ الوطني".

وبدأت الهجرة إلى الغرب تشكل أحد البواعث الدفينة لدى جموع الناس وانفك الارتباط بالأرض الذي كان السمة الغالبة في الشخصية الوطنية كما أصبح الاستيراد هو هم التاجر والمستهلك وتحول الاقتصاد الوطني إلى اقتصاد تابع» [3].

ومن خلال كتابه مقدمة في علم الاستغراب تطرق حسن حنفي بالتفصيل لمظاهر التغريب وكيف امتدت إلى أمتنا في وجدانياتها وذهنياتها، وفي ظل عمليات التغريب هذه أراد حنفي من خلال مشروعه هذا:

– نقد التراث الغربي ورده إلى حدوده الطبيعية بهدف: –تأكيد الذات والهوية وذلك «بتصحيح المفاهيم المستقرة والتي تكشف عن المركزية الأوروبية من أجل إعادة كتابة العالم من منظور أكثر موضوعية وحياد أو أكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات

---

[1]– حسن حنفي وآخرون ، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر ، ص 33

[2] _ المصدر نفسه، ص ص 43، 44.

[3] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص ص 22، 23.

البشرية في تاريخ العالم» [1]. وكذا «تطوير موقف الانتقاء من الغرب وإكماله بتصور نقدي له ورده إلى حدوده الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية وتحجيم ثقافة المركز من أجل إفساح المجال لتمدد ثقافة الأطراف والخروج عن عزلتها وحصارها وتطويرها تطويرا طبيعيا». [2].

وحتى يعرف الآخر حدوده الثقافية الغربية ويبيّن «محليتها بعد أن ادّعت العالمية والشمول وإخراج أوروبا من مركز الثقل الثقافي العالمي وردها إلى حجمها الثقافي الطبيعي في الثقافة العالمية الشاملة» [3].

فمهمة علم الاستغراب هو:- إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوروبي والكفة المرجوحة للوعي اللاأوروبي، فطالما أن الكفتين غير متعادلتين سيظل الوعي الأوروبي هو الذي يمد الثقافة الإنسانية بنتاجه الفكري والعلمي وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج.

فهدفه:- إنهاء الغزو الثقافي والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية لأن معرفة الآخر معرفة جيدة تقلل من رهبته، وفي ذلك يقول حنفي:- «السيطرة على الوعي الأوروبي أي احتواؤه بداية ونهاية، نشأة وتكوينا وبالتالي يقل إرهابه لأنه ليس بالوعي الذي لا يقهر»[4]، وبالتالي ضياع رهبة الجديد وعدم الإحساس بالنقص أمامه والتعامل معه تعامل الند للند بل ونقده وبيان أوجه توجهه.

كما يهدف علم الاستغراب إلى: -استكمال عصر التحرر من الاستعمار والانتقال من التحرر الفكري إلى التحرر الاقتصادي والسياسي والثقافي وقبل كل شيء التحرر الحضاري، فطالما أن الغرب قابع في قلب كل منا كمصدر للمعرفة وكإطار مرجعي يحال إليه كل شيء للفهم والتقييم فسنظل قاصرين في حاجة إلى أوصياء [5]. فعدم التحرر من الغرب واعتباره مصدر المعرفة والفهم الصحيح يقوي في نفوسنا قابلية الاستعمار.

ومن أهداف الاستغراب: -مقاومة طغيان واستبداد الاستشراق الذي زاد من عظمة المركزية الغربية وقزم شأن العرب وقيمتهم ومحاولة: -«تصحيح الأحكام التي ألقاها الوعي الأوروبي وهو في عنفوان يقظته على حضارات الشرق وهي في عمق نومها وخمولها» [6].

وهي الصورة التي يركز عليها حنفي، ويحاول تقديمها بصورة مغايرة لما يرى الآخر عنها في الاستشراق القديم الذي نشأ واكتمل في عنفوان المد الاستعماري الأوروبي، وهي تجاوز النقص والتبعية والاستسلام للآخر إلى القوة والعظمة والعدالة وبالتالي:- «تجاوز عقدة النقص التاريخية في جدول الأنا والآخر على مستوى اللغة والثقافة والعلم، وبالتالي التخلص من الخوف والجرأة في قلب المائدة في وجه الخصوم، فخير وسيلة للدفاع الهجوم» [7].

---

[1] _ المصدر نفسه، ص40.

[2] _ حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ط3، دار قباء للطباعة والنشر، 1998، ج2، ص 460.

[3] _ حسن حنفي، التراث والتجديد، ط5، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، 2000 ، ص 181.

[4] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 50.

[5] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص34.

[6] _ المصدر نفسه، ص 53.

[7] _ حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ، 2000، ص 44.

فعلم الاستغراب في نظر حنفي هو العلم الوحيد القادر على استرجاع الوعي الضائع بالأنا في ظل حضارة الآخر «إن مهمة هذا العلم الجديد هو إعادة الشعور اللاأوروبي إلى وضعه الطبيعي والقضاء على اغترابه وإعادة ربطه بجذوره القديمة، وإعادة توجيهه إلى واقعه الخاص من أجل التحليل المباشر له، وأخذ موقف بالنسبة لهذه الحضارة التي يضنها الجميع مصدر كل علم، وهي في الحقيقة حضارة غازية لحضارة أخرى ناشئة نشأة ثانية أو تعيش إحيائها ونهضتها» [1].

وانطلاقا مما سبق يعوّل حسن حنفي على تحرير الذات العربية وذلك بالتجديد من الداخل وليس من الخارج؛ وذلك عن طريق استرجاع الثقة بالذات والقدرة على الإبداع والقدرة على أن يتحمل الإنسان مسؤولية ما تحمله القدماء من قبل «ولسنا ننقل علوما لا من القدماء ولا من الغرب المعاصر، ولكننا مبدعو علوم، وأنه في حقيقة الأمر فإن النهضة العربية الإسلامية الحالية لن تسير خطوة إلى الأمام أكثر ما دامت تعتبر نفسها ناقلة علم وكأنها تلميذ ينقل من أستاذ على الدوام» [2].

ومن هنا نجد أن غاية علم الاستغراب هو مواجهة التغريب، وذلك من خلال نقد التراث الغربي ورده إلى حدوده الطبيعية الأولى وإنهاء الغزو الثقافي وإيقاف المد الذي لا حدود له وإرجاع الفلسفة الأوروبية إلى بيئتها المحلية التي نشأت منها حتى تظهر خصوصيتها التي أمكن تعميمها من خلال الاستعمار والسيطرة وأجهزة الإعلام في لحظة ضعف الأنا وتقليده للآخر، واقتصار تحرره على الأرض دون الثقافة وكذا القضاء على أسطورة الثقافة العالمية وإعادة التوازن للثقافة الإنسانية وتصحيح الأحكام التي ألقاها الاستشراق على حضارات الشرق، وبالتالي تجاوز عقدة النقص التاريخية في جدول الأنا والآخر على مستوى اللغة والثقافة والعلم، فالغاية القصوى التي يطمح لها هذا المشروع هي إخضاع الآخر للفهم من قبل الأنا وأن نتعامل من منطلق القوة بعد أن تضخّم وتطاول وأخذ أكبر من حجمه الحقيقي.

كانت هذه أهم الأهداف التي ابتغاها حسن حنفي من خلال مشروع الاستغراب وعلى الرغم من أنها أهداف تعبّر عن وجع وحلم كل عربي وشرقي، إلاّ أنها كانت عرضة للكثير من الانتقادات من طرف المفكرين العرب، والتي صادرها حنفي بدوره وحاول الرد عليها في خاتمة كتابه مقدمة في علم الاستغراب، فلماذا كانت الانتقادات وكيف كانت ردود حنفي عليها ؟

3 . المبحث الثالث: انتقادات وردود:

في خاتمة كتابه مقدمه في علم الاستغراب يتحدث حنفي عن «النقد الذاتي وحدود العمر» ففي هذه الخاتمة يعترف حنفي بأوجه القصور التي تنطوي عليها مقدمته في علم الاستغراب، ومن هذه الأوجه أنه اكتفى بالكليات دون الجزئيات وقدم تصنيفا للفلاسفة أكثر مما قدّم دراسة لتكوين العقل الأوروبي وعرض المذاهب دون تبيان أثرها في الفكر العربي المعاصر، وكلها عيوب لم يكن بإمكانه تلافيها لأنه كان يكتب تحت وطأة هم قصر العمر الذي هو العيب الأكبر على حد ما يعترف «كان هم قصر العمر هو الذي دفعني إلى الاكتفاء بالكليات تاركا الجزئيات لأجيال أخرى قادمة أحدد المعالم، وأضع الأسس وأترك لغيري وضع البناء» [3].

من الانتقادات التي وجهت إلى حنفي هي ابتعاده عن الموضوعية والحيادية المطلوبة، ويعد المفكر علي حرب من الأوائل الذين

---

[1] _ حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، ص07.

[2] _ حسن حنفي، اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص 47.

[3] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 786.

انتقدوه بخصوص عنصر الحيادية؛ حيث يقول: «لقد صرح حنفي في مقدمة كتابه بأنه سيكتب على الاستغراب بروح حيادية موضوعية وبأنه لن يريد أن يكون كنقيضه الاستشراق مشروعا للسيطرة على الآخر ولكن ها هو يتحدث في خاتمة الكتاب عن الفلاسفة بعقلية سجان يدير معسكرا للاعتقال، أي بعقلية سلطوية فاشية إنها إرادة السيطرة بل الانتقام تفضح صاحبها من حيث لا يشاء» [1]. وفي السياق نفسه يكتب أحمد محمود سلامي: «وذهب حسن حنفي إلى الانجرار إلى ذم وهجاء حضارة الآخر ومحاولة إلصاق كل ما هو سلبي فيها» [2].

ويضيف قائلا: «سوف نلاحظ في مشروع حنفي وجود كافة المسلمات التي انطلق منها المستشرقون في إقامة دعاويهم حول مركزية الغرب، ولكنه يوظفها بشكل معكوس لتكريس مركزية الشرق وأسبقيته وتفوقه الحضاري، يقيم حنفي دعاويه حول تميّز الذات العربية الإسلامية وأفضليتها على الذات الغربية من خلال نعت الذات الغربية بأنها عبارة عن ذات تشكلت في التاريخ وفق صيرورة طاردة عن المركز وبالتالي فهي ذات تكمن بنيتها في التغير بينما يصف الذات العربية الإسلامية بأنها ذات مركزية تتجه إلى المركز مما يجعلها ذات ثابتة لها طبيعية ماهوية» [3].

والحقيقة أنّ أيّ بحث أو موضوع لا يخلو من الذاتية والحيادية مهما حاولنا تفادي ذلك، ومع ذلك فنسبة الاقتراب من الحياد والموضوعية تكون أكبر كلما ابتعدنا عن أهداف السيطرة والهيمنة وغيرها، يقول حنفي في هذا الصدد : «إن وعي الباحث الآن في علم الاستغراب أقرب إلى الشعور المحايد نظرا لأنه لا يبغى السيطرة أو الهيمنة بل يبغي فقط التحرر من آثار الآخر حتى يوضع الأنا والآخر على نفس المستوى من الندية والتكافؤ....يقوم على أنا محايدة لا يبغي السيطرة وإن بغى التحرر ولا يريد تشويه ثقافات الآخر وإن أراد معرفة تكوينها وبنيتها» [4].

ويضيف قائلا: «صحيح أن هناك خطورة الإسقاط من ذات الباحث على موضوعه، فيرى ما في نفسه أكثر مما يرى ما في الواقع، وصحيح أيضا أن هناك خطورة الوقوع في الخطابة أو في التعصب للذات والهجوم على الحضارة الأخرى موضوع دراسته خاصة إذا كان قد قاسى منها سواء من الاستعمار المباشر أو من الاستعمار الثقافي حينئذ تكون فرصة فريدة للانتقام ولكن وعي الباحث وأصالته يحفظانه من الوقوع في مثل هذه الأخطار» [5].

كما لاقت دراسته أيضا انتقادات بخصوص المنهج أو الأدوات المنهجية التي استخدمها في هذا العلم، حيث يذكر محمود محمد علي أنه: «وعلى الرغم من نقد حنفي للآخر الغربي فلا يمكن أن نغض الطرف عن الأثر الكبير للفكر الغربي في أعماله وفي الدور الذي لعبته المنهجيات الحداثية في تقديمه قراءات جديدة للتراث الإسلامي، وهذا واضح في تأثير اسبينوزا وهيجل وفيورباخ وماركس وهوسرل وغيرهم كثيرون» [6].

---

[1] _ علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ط3، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004، ص 57.

[2] _ أحمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس في فكر حسن حنفي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد9، العدد 1، 2016، ص 114.

[3] _ أحمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس في فكر حسن حنفي، ص 109.

[4] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 31، ص 32.

[5] _ المصدر نفسه، ص 33.

[6] _ محمود محمد علي، حسن حنفي قصة عطاء لا تنتهي،

وأيضا ما ذكره أحمد محمود سلامي بخصوص المنهج أن «مشروع حنفي كما أعلن قائم على دراسة الآخر من منظور الأنا وبمناهج الأنا ومفاهيمها، ولكن ما لاحظناه أن حنفي لم يفعل أكثر من دراسة الآخر بمنهجية تاريخية كان قد أنكرها وذلك حين لجأ إلى المنهج التاريخي في تتبع صيرورة الوعي الغربي، علما بأن حنفي كان قد هاجم المنهج التاريخي وعده منهجا أوروبيا محليا لا يمكن تعميمه على الثقافات الأخرى» [1].

وفي معرض رده حول مسألة الأدوات المنهجية التي يستخدمها مثل هذا العلم، يجيب حنفي بأن «الغرب في عصورهم الحديثة أصبحوا حضارة المناهج وهذه المناهج لها أصول خارج الغرب فإذا استعملنا بعض هذه المنهجية فإنها ليس غربية بالضرورة وأنها لها أصولها الإسلامية والهندية والصينية» [2] ، أي أن تلك المناهج المنسوبة إلى الغرب لا شك أن لها أصولا من حضارات أخرى، وهو ما ذكره في عنصر تفنيد " مصادر الوعي الأوروبي" الذي يتنكر لدور الحضارات الشرقية؛ خاصة الحضارة الإسلامية، وبالتالي فهي ليست حكرا عليهم ولا يمكن اعتبارها غربية أصيلة.

ثم إن الحقيقة التي يجب الاعتراف بها؛ هي أن استعمال المناهج الغربية عند حنفي أو عند أي باحث في العالم العربي أمر لا مفرّ منه طالما لا يوجد بديل لها، فإنتاج أدوات جديدة ومنهجيات خاصة بنا تلك مرحلة لم نصل لها بعد، فذلك يحتاج إلى تظافر جهود العديد من المفكرين والباحثين عبر أجيال متعاقبة.

ويعاب على حنفي أيضا أنه لم يتطرق إلى مسألة قصور العقل العربي ونقص المفاهيم والأدوات وأنه أشار إلى قصر العمر ولم يشر إلى قصور العقل العربي ومن ذلك ما قاله أحمد محمود سلامي: «من الملاحظ أن حنفي لم يشر لا من قريب أو بعيد إلى قصور العقل العربي على الإحاطة بصيرورة الوعي الغربي وتفسيرها وفق رؤية عربية كما لم يتطرق إلى أي إشكالية تخص النقص في المفاهيم والأدوات التي يعاني منها العقل العربي في محطته الراهنة فقد انصب نقده بالمجمل على طبيعة الجهد البحثي الذي قدمه هو كباحث وعلى شخص الباحث أيضا والذي عزاه إلى قصر العمر» [3]، وفي السياق نفسه يتساءل المفكر الطيّب تيزيني «هل وصل الفكر العربي المعاصر إلى مرحلة من النضج يكون فيها قادرا على دراسة التراث الفكري الغربي بتياراته ومذاهبه المتنوعة ؟ وهل يمتلك الفكر العربي المفاهيم القادرة على الاضطلاع بعملية النقد؟

إنّ مثل هذه الأسئلة تواجه أي باحث يرغب في نقد المركزية الغربية التي تتمظهر في السياسة والاقتصاد والعلوم والفكر، حيث يهيمن المركز الغربي على مجمل أوجه النشاط الإنساني وعليه فإن التصدي للمركزية الأوروبية من قبل الباحثين العرب يمثل عملية معقدة» [4].

لا ينكر حنفي أن نقده للتراث الغربي يحمل كل هذه الهموم مجتمعة، وقد صرّح بهذا في مقدمة كتابه "مقدمة في علم الاستغراب"

---

http://www.almothakaf.com (14/12/2020/11 :15).

[1] _ أحمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس، ص 117.

[2] _ حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، تقديم/رفعت العوضي، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، 2009، ص 20.

[3] _ أحمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس، ص 114.

[4] _ طيّب تيزيني، من التراث إلى الثورة، دار الجيل، بيروت، ص 551.

وهذا ما يجعل الأمر صعب بالنسبة لشخص بمفرده، لهذا فهو يعتبره مهمة مجموعة من الباحثين والمثقفين ومهمة عدة أجيال برؤى مختلفة وأحكام متباينة لتطويره فهذا العلم «ليس مهمة مفكر بعينه بل مهمة عديد من الباحثين والمفكرين والعمل كفريق لتطوير العلم بعد تأسيسه وللإسهام في أحكامه بعد إعلانه كنوايا» [1].

ويقول أيضا: «إنما هي مهمة مجموعة من المثقفين لإعطاء مزيد من الأحكام، مهمة فريق عمل يغرس كل باحث فيها نبتا، وقد تكون مهمة عدة أجيال برؤى مختلفة ولكن يظل التأسيس الأول لهذا الجيل والمحاولة الكاملة الأولى هي هذه المقدمة في علم الاستغراب» [2].

كما لا ينكر حنفي حالة الضعف والهزيمة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي ولكنه على الرغم من ذلك يرى بأننا مازلنا قادرين على التفكير، ويعتبر الهزيمة دافعا لنا على دراسة الآخر «قد يكون ذلك دافعا لأن يجعلك قادرا على دراسة الآخر فالهزيمة أنواع وبالنسبة للهزيمة الثقافية فالحمد لله نحن مازلنا أقوياء وقادرين على الفكر وبالتالي يمكن دراسة الآخر وأنت في موقف الهزيمة»[3] ، ونفهم من ذلك أن هذه الانتقادات وغيرها؛ يعتبرها حنفي إثراء وتطويرا للمشروع في سبيل نهضة حضارية منشودة.

ولذلك وجدناه يصادر الآراء التي ربما تنعت مشروعه بالطوباوية، وأنه مجرد حلم لا أكثر وأنه مجرد أمنيات للشعوب المقهورة والمتحررة حديثا من أجل اللحاق بركب الحضارة، حيث يرى أنه لا مانع من الحلم والأمل الجميل فشتان بين حلم حلو وواقع مرير، يقول حنفي : «وما المانع في أن يكون ذلك صحيحا؟ لطالما كان التحرر شوقا عند القادة والجماهير، ولم يمنع ذلك من التحرر بالفعل وطالما كان إيمان الناس حلما عند الأنبياء، ولم يمنع ذلك من إيمان الناس» [4].

فكل المشاريع النهضوية بدأت بالحلم وأن العلم الأوروبي نشأ من أحلام ديكارت وكانط وفيكو «وبالفعل لقد نشأت العلوم الأوروبية من هذه الأحلام "حلم راء" لكانط وليلة 10 نوفمبر 1319 عند ديكارت و"العلم الجديد" عند فيكو...الخ » [5].

وفي خضمّ كل هذا يمكننا القول: أن محاولة حسن حنفي ترسيخ قواعد الاستغراب تعتبر صياغة جريئة دونها الكثير من الصعوبات والمعوقات، ذلك أنه وفي الوقت الراهن نحن لا نملك كيانا معرفيا ننطلق منه لدراسة الغرب، فنحن مازلنا نعاني جمودا في قوالبنا الفكرية والمعرفية والمنهجية نتيجة الظروف الاستعمارية التي مرت بنا، ثم إن الآخر الغربي نجح من خلال الاستشراق في تحويل الأنا العربي إلى موضوع له من خلال ما توصل إليه من معرفة وضعته في المركز، وقد غاب عن حنفي أن الحضارة العربية الاسلامية القديمة في تفاعلها مع الحضارة اليونانية كانت تملك كل العناصر الفكرية والثقافية والمنهجية على خلاف حضارتنا الحالية التي تعاني غياب الأدوات الفكرية والمنهجية في مواجهتها الحضارة الغربية.

هذه حقائق وعقبات لا يمكن تجاهلها ولكن وجودها لا يعني بالضرورة فشل مشروع الاستغراب أو التخلي عنه وعدم الخوض فيه

---

[1] _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 791.

[2] _ المصدر نفسه، ص 63.

[3] _ حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، ص 23.

[4] _ المصدر نفسه، ص 35.

[5] _ المصدر نفسه، ص 96.

من البداية، فلا يأس مع الحياة وإنه لا ييأس من روح الله أحد إلاّ الذي ضعفت ثقته بنفسه ولم تتضح رؤيته لإمكانياته ولم يسبر قوانين التاريخ، ثم إنه لو انتظرنا إلى أن يصبح لدينا كيان معرفي قوي فسنبقى مكتوفي الأيدي، لذلك وجب علينا دراسة الغرب بما توفّر لدينا من إمكانيات ومعارف.

إن مشروع حسن حنفي يحيلنا إلى تساؤل مهم، وهو لماذا تأخر العقل المسلم في دراسة الشعوب الأخرى؟ خاصة وأن القرآن الكريم فيه دعوة صريحة إلى التعارف بين مختلف الشعوب والأقوام من منطلق التشارك في الإنسانية وفي الخلق الواحد فقال تعالى:"﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾" [1] وفيه من النصوص والآيات التي تبرز التعريف بها تمهيدا لدعوتها، وقد خرج المسلمون من جزيرة العرب، وهم على معرفة بالكثير منها، فقد حدثهم القرآن عن ثمود وعاد وغيرهما فقال تعالى:"﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وقوم تبع(14)﴾ "[2]."[وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾" [3].

وعرفوا أقواما أخرى من خلال التجارة والترحال مثل قيامهم برحلتي الشتاء والصيف، ثم انطلقوا لمعرفة تلك الشعوب عن طريق الاحتكاك المباشر، وظهر رحالة مسلمون كتبوا عن مختلف شعوب العالم حتى أصبحت كتاباتهم مرجعا عالميا في دراسة الشعوب الأخرى نذكر منهم على سبيل المثال: رحلة ابن جبير، وابن بطوطة، ورحلات المسعودي، وعبد اللطيف البغدادي.

إن أوروبا التي كانت تغط في سبات الجهل والتخلف والمعتقدات الفاسدة سعت لأخذ علوم المسلمين وثقافتهم ومعرفة عوامل قوتهم ومجدهم وأسباب وصولهم إلى مراكز القيادة في العالم، وكان من مظاهر ذلك هجرة شباب أوروبا لطلب العلم في مراكز الثقافة الإسلامية وخاصة في الأندلس وإرسال البعثات التعليمية الرسمية إلى هذه المراكز ثم نقل التراث العلمي الإسلامي إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلم في أوروبا في ذلك الوقت وبدأت حركة الترجمة في القرن 9م.

والعجيب أن المسلمين الذين جاء كتابهم الكريم يدعو إلى التعارف بين الشعوب في قوله تعالى: "﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ "[4] هم أنفسهم الذين أهملوا هذا الجانب في العصر الحاضر فأصبحوا منذ قرون عديدة موضع الدرس أو حقل تجارب لدى الأوروبيين والأمريكيين وقد وصل الغربيون في معرفتهم لنا أن عرفوا التفاصيل الدقيقة عن الأمة الإسلامية معرفة دقيقة.

ومع الاعتراف بتفوق الحضارة الغربية اليوم، فإنه بات من الضروري محاولة التعرف عليها معرفة علمية بعيدا عن منطق الانبهار المفضي إلى الذوبان وفقدان الذات، وهذا ما قصده حنفي، خاصة وأن تجربة الغرب في إقامة حضارته تظهر أنه أحسن التعرف على الأمة الإسلامية وشعوبها وثقافتها وأفاد منها الكثير في مختلف العلوم والمعارف.

---

[1] _ الحجرات: 13

[2] _ ق: 13-14

[3] _ الاحقاف:21

[4] _ الحجرات: 13.

خاتمة:

بناءً على ما سبق عرضه يظهر أن حنفي وضع حجر الأساس لعلم الاستغراب، ليتم بناؤه فيما بعد بتظافر جهود الباحثين والمفكرين في مختلف التخصصات وعبر أجيال متعاقبة، فالاستغراب مشروع ضخم ومتشعب ويحتاج إلى أبحاث ودراسات مكثفة ودقيقة، ومن ثمة فلا يمكن اعتباره مشروعا كاملا وجاهزا للتطبيق، إضافة إلى الثغرات المنهجية التي تم تشخيصها في المشروع ولكن بالرغم من ذلك فقد استطاع حنفي أن ينزل المركزية الغربية من عليائها ويقدم الشواهد التاريخية على تراجع المشروع الحضاري الغربي وأنه يحمل الكثير من عوامل الضعف داخله.

إن حنفي؛ ومن خلال أهداف مشروع علم الاستغراب التي رسمها، إنما يعبّر عن استشراف وطموح في انتقال الزخم الحضاري إلى الشرق، أو بالأحرى عودة هذا الزخم مرة أخرى للشرق، لأن روح التاريخ الإنساني قد بدأ في الشرق، ويأمل أن تتضافر جهود المفكرين في البلاد العربية من أجل إعادة كتابة فلسفة التاريخ وتصحيح مساره. ومن خلال ما سبق الحديث عنه يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

- أعطى حسن حنفي للاستغراب معناً آخر وجعله نقيضا للاستشراق أي دراسة الأنا (الشرق) للغرب، وجعل منه علما متكاملا هدفه دراسة الغرب من أجل تصحيح مسار التاريخ وبناء نهضة وحضارة.
- وضع حنفي لهذا العلم أهدافا نذكر منها:

1-مواجهة التغريب.

2-نقد التراث الغربي ورده إلى حدوده الطبيعية.

3-تأكيد الذات والهوية.

4-إعادة التوازن للثقافة الإنسانية.

5-إنهاء الغزو الثقافي والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية وتحجيم ثقافة المركز.

6-السيطرة على الوعي الأوروبي أي احتواءه بدايةً ونهايةً، وبالتالي التقليل من رهبته.

7-استكمال عصر التحرر من الاستعمار والانتقال إلى التحرر الحضاري.

8-مقاومة طغيان الاستشراق وتصحيح الأحكام التي ألقاها، وتحول حضارات الشرق من موضوع إلى ذات.

9-تجاوز عقدة النقص التاريخية في جدول الأنا والآخر (وتعد هذه المسألة من الفضائل الرئيسية لمشروع الاستغراب عند حنفي).

10-إنشاء علم الاستغراب كعلم دقيق مهمته تحويل الحضارة الأوروبية من دراسة موضوع إلى موضوع دراسة.

- أهداف الاستغراب عند حنفي كانت عرضة للانتقادات بخصوص:

1-الحيادية والموضوعية في الطرح.

2-المنهج أو الأدوات المنهجية الغربية التي استعملها في هذا العلم.

3-عدم التطرق لمسألة قصور العقل العربي ونقص المفاهيم والأدوات.

4-بالإضافة إلى بعض الآراء التي اعتبرت هذا العلم وأهدافه مجرد حلم وأمنيات للشعوب المقهورة وتنعته بالطوباوية.

- حاول حنفي الرد على هذه الانتقادات مبيّنا أن:

1-الباحث في علم الاستغراب لا يبغي السيطرة وبالتالي فهو أقرب إلى الشعور المحايد كما أن وعي الباحث وأصالته يحفظانه من الوقوع في الذاتية.

2-المناهج الغربية لها أصول إسلامية وهندية وصينية وبالتالي فهي ليست حكرا على الغرب.

3-حالة الضعف والهزيمة التي يعيشها العالم العربي لا يمكن إنكارها، ولكن العقل العربي ما زال قادرا على التفكير، بل ويمكن اعتبار الهزيمة دافعا لنا على دراسة الآخر.

4-كافة المشاريع النهضوية قد بدأت بالحلم وأن العلم الأوروبي نشأ من أحلام ديكارت وكانط وفيكو، فلا مانع من الحلم والأمنيات الجميلة، فتحرر الشعوب بدأ من حلم القادة والجماهير وإيمان الناس بدأ من حلم الأنبياء.

أهداف الاستغراب عند حنفي تعتبر صياغة جريئة ودراسة تعبّر عن اعتزاز بالنفس وطموح كبير سعى من خلاله إلى تغيير شكل العلاقة بين الغرب والشرق وتحويل الغرب من ذات دارس إلى موضوع مدروس للشرق، ولكن هذه الأهداف دونها الكثير من الصعوبات والمعوقات التي تحول دون إمكانية تطبيقها وهذا ما جعلها عرضة للانتقادات. وعليه وجب تظافر جهود العديد من المفكرين للإسهام في هذا العلم وإنجاحه فنحن في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه العلوم.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

الكتب:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت.
2. أحمد عمر الوهاب، التغريب طوفان من الغرب، مكتبة التراث الإسلامي.
3. جيلالي بوبكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011.
4. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
5. حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة الفردية، بيروت، 1987.
6. حسن حنفي، التراث والتجديد، ط5، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2000.
7. حسن حنفي، اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988.
8. حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، ط2 ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983.
9. حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1 ، بيروت، 2000.
10. حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، تقديم/رفعت العوضي، مركز الدراسات المعرفية،2009.
11. حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ط3 ، دار قباء للطباعة والنشر ، 1998.

12. علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ط3، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.
13. طيّب تيزيني، من التراث إلى الثورة، دار الجيل، بيروت.
14. يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، لبنان.
15. يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، لبنان.

المجلات العلمية:

15.أحمد محمود سلامي، الاستشراق المعكوس في فكر حسن حنفي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد9، العدد 1، 2016.

المواقع الإلكترونية:

16.حمود محمد علي، حسن حنفي قصة عطاء لا تنتهي.

.http://www.almothakaf.com: (14/12/2020/11 :15)

17. ويكيبيديا الموسوعة الحرة:

.Wikipedia.org.(07/09/2020)